

## خلق القرآن وصراع الحياة

أيها القارئ الكريم:

في عالمنا اليوم صراعٌ يهدّد الإنسانية كلّها بخطرٍ داهمٍ وشرٍّ مستطير.

صراعٌ ذو تأثيرٍ بالغٍ في حياة الناس وشئونهم.

لم تعد أيُّ منطقة بمعزلٍ عن تأثير هذا الصراع؛ لأن الإنسانية جميعها عُدت وكأها تعيش في بيت واحد، يتأثر كلّ بما يقع، وإن تفاوتت درجات التأثير بتفاوت شأن القضايا في تأثيرها أو تأثر الناس بها.

ونحن المسلمين قد شاء الله لنا - منذ شرفنا وأنعم علينا برسالة محمد ﷺ - أن نهُتَمَ بشئون الإنسانية بدافع من ديننا وطاعة ربنا، وأن يكون أمرنا دائماً ذا شأنٍ وخطرٍ، في ضعفنا وقوتنا، وهزيمتنا ونصرنا. ومرجع ذلك دائماً إلى ديننا وعقيدتنا. إليه يرجع سرُّ قوتنا ونحن أقوياء. بل وسرُّ ضعفنا ونحن ضعفاء، فقد شاء الله أن يرتبط أمرنا كلّ هذا الدين.

نقوى ونتصّر بمقدار قربنا منه وأخذنا به، ونضعف ونذلُّ بمقدار تنكرنا له وبعدنا عنه، إنه دينٌ يملك شهادة صدِّقه، هُزِمنا نحن أو انتصرنا. وشهادة الصدق في حالة ضعفنا أنه يبرهن لكل ذي سمعٍ وبصرٍ على نزاهته وعدله، وأنه يُعطي عطاءه بقدر العمل دون نظرٍ لدعاوى الناس أو أمانئهم.

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا تَجَزَّ بِهِ وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا

يُظَلِّمُونَ تَقِيرًا ﴿١﴾

فالذين يحاولون أن ينالوا من الإسلام مُتَّحِذِينَ من تخلف المسلمين حِجَّةً عليه يخطئون أشدَّ الخطأ؛ لأن تخلفَ المسلمين - وهم يتعدون عن الإسلام - شهادة له لا عليه، شهادة على صدقه ونزاهته وأنه الحقُّ، فهم لا يَضِلُّون ولا يَضْعُفُونَ إلا عندما يَضْعُفَ تمسُّكهم به، أو عندما يلتمسون العزَّ في غيره.

نعم إنَّ أمرنا ذو شأنٍ وخطر، ونحن نتسبب لهذا الدين ذي المبادئ البيِّنة التي تتلى على الناس، المحفوظة في كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (٢)

ولقد أعمى الحقدُ الموروث فئاتٍ من الناس فلم يبصروا حقيقة الإسلام، ولم يتدبروا كتابه. فصدوا عنه وهو الرحمة والشِّفاء.

والإنسانية في صراعها الأليم في حاجة إلى التراحم. وفي صرَعِها وسُعَارِها وطغيان بعضها على بعض في حاجة إلى الشِّفاء.

ونحن المسلمين - واهتمام العالم بنا يشتد بدافع من الضرورة والحاجة - وقضايا اليوم هي أهمُّ القضايا شأنًا وأبعدها أثرًا، فعلينا أن نخاطب العالم برسالتنا وأن ندلِّه على أننا - بديننا - دُعاةٌ خيره. وحمّاةٌ سلامه وأمنه.

إن خيرَ ما نقدّمه لأنفسنا - وللعالم المكدود من حولنا - أن ندعوه إلى دين الرحمة، وأن نُعليَ أمام نظره ميزانَ الحقِّ والعدل؛ لينعمَ بالإسلام والأمن.

(١) النساء: ١٢٣-١٢٤.

(٢) فصلت: من الآية ٤٢.

لقد أفلست مذاهبُ البشر قاطبةً أن تُقدِّمَ لدائه علاجا، والعالم كله حائر يلتمس الخروج من حيرته، قلقٌ ينشد الأمن في داخل نفسه والأمان من حوله. حائف من يومه متوجس من غده.

والمسلمون - ويدهم أسباب الطمأنينة والأمن عليهم أن يقوموا بواجبهم ولا يفرطوا في الأمانة الملقاة على عاتقهم. وليكونوا رحماء بأنفسهم وبالإنسانية جميعاً في القيام بما أوجب الله عليهم من نشر دينه وتبليغ رسالته، فقد طال ليل الإنسانية واشتد ظلامها. وهي في ظلامها تنشد النور. وفي حيرتها تطلب الهدى، ونور الله أمام أعيننا وآياته تتلى علينا ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ <sup>(١)</sup>

إن العالم يحتاج إلى الكلمة العادلة. والكلمة العادلة لا بد أن تقوم بها قوة عادلة تحرس ميزان العدل، وإلا تمرد أصحاب الهوى وسماسة الباطل ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ <sup>ط</sup> وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) المائدة : ١٥ ، ١٦ .

(٢) الحديد : ٢٥ .

إن الكتاب والميزان يحتاجان إلى قوة مؤمنة خاضعة لقانون الحق والعدل؛ ليقوم الناس بالقسط ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾<sup>(١)</sup> والناس ممتحنون بما أنزل الله من كتاب وما خلّق من أسباب.

وأسابب القوة بملكها المصلح والمفسد. والسلاح يكون في يد الحارس الأمين يحفظ به الأمن ويردع الفساد والظلم، ويكون في يد اللص يثير به الرعب والخوف ﴿ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾<sup>(٣)</sup>

\* القوة العادلة:

لا بُدَّ من قوة مؤمنة يتحقق بها أمن الناس، تنصر الله باتباع دينه والتمسك بكتابه ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>

إن فلاح أمتنا في قيامها برسالتها وأداء واجبها، وهي إن تخلفت عن مكائنها، أو تنكرت لرسالتها اضطرب ميزان العدل، وانتهكت حرّمات الناس. ولن تُحقّق القوة وحدها الأمن المنشود، ولا بُدَّ من الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، ولذا جمع الله بين الكتاب والميزان وأسباب القوة في آية واحدة؛ لتوضع القوة لميزان العدل وتُحكّم بقانون الحق، ولتتخذ العدل من القوة حراسة أمن تنفيذ

(١) الحديد : من الآية ٢٥.

(٢) محمد : من الآية ٤.

(٣) آل عمران : ١٠٤.